الْفُرُوقُ بَيْنَ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ وَالطَّرِيقَةِ الْكَلَامِيَّةِ فِي إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ

د. مُطْلَقُ الْجَاسِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ...

الاستدلال على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وذِكر الأدلة عليهِ

هناك مسألة مهمة جدًّا تتعلّق بما نحن بصددهِ، وهي **مسألة هذا الكلام اَلَّذِي نتكلَّم وهو قضية الاستدلال على وجود الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **وذِكر الأدلة عليهِ، هل هذه هي الطريقة الكلامية اَلَّتِي انتقدها السلف أم هي ليست كذلك؟**

هذه مسألة مهمة جدًّا؛ لأنهُ يحصل هناك خلطٌ بينهما، وهذا الخلط مبانهُ على الاعتقاد، أنَّ كل كلامٍ عن وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو من باب الطريقة الكلامية أو من باب علم الكلام أو نحو ذلك، وهذا خطأ، كيف والقرآن الكريم قد ذكَر الله عَزَّوَجَلَّ فيهِ ما يدلُّ على وجودهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فعندنا هنا مسائل مهمة جدًّا تتعلّق بهذا الموضوع:

المسألة الأوَلى: وهي هل المفترض أَلَّا يُتكلَّم في توحيد الربوبية، واَلَّذِي يكون المقدم فيهِ الكلام في وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والكلام في إثبات صفاتهِ، والاقتصار على توحيد الألوهية فقط؟ هذه مسألة.

المسألة الثانية: كيف يكون الكلام في توحيد الربوبية؟

- **أمَّا المسألة الأوَلى**: فقد وجود في كلام بعض العلماء أنَّ الكلام في توحيد الربوبية وفي وجود الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُشرع، أو أنهُ خلاف هدي السلف الصالح، أو أنهُ طريقةٌ مبتدعة، على اعتبار أنهُ لا يوجد أحد ينكر وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنَّ وجود الله عَزَّوَجَلَّ فطري في البشر، وأنَّ اَلَّذِي أنكرهُ شرذمةٌ قليلون لا داعي لاستهلاك الوقت وإشغال الذهن بالرد عليهم، بل ينبغي القفز مباشرةً إلى توحيد الألوهية اَلَّذِي يُحذَر فيهِ من الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن عبادة القبور، ومن الاستغاثة ونحو ذلك من مضامين توحيد الألوهية.

☆ **أقول**: هذا الكلام قد يكون صالحًا لفترةٍ سابقة قبل الانفتاح اَلَّذِي نعيشهُ اليوم، نعم كان الملاحدةُ قليلون، وكان الإلحاد اَلَّذِي يُقصَد بهِ إنكار وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قليلًا جدًّا، وبالتالي لم يكن هناك داعٍ للتطرق إليهِ.

ما الفرق هنا بين الطريقة الكلامية والطريقة السلفية؟

الجواب: أنَّ أهل الكلام يتكلَّمون في إثبات وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويوجهون أدلة وجودهِ للمسلمين، ويشترطون أنْ تكون مسلمًا أنْ تكون عارفًا بأدلة وجود الله، ويوجبون النظر، بل يجعلون أوَل واجبٍ على العبدِ النظرُ في أدلة وجود الله، وهذه طريقةٌ مبتدعة، وليست هذه الطريقة اَلَّتِي نتبناها، بل نحن ننكرها.

ما هي الطريقة السلفية؟

❋ ألا يُخاطب بأدلة وجود الله إلَّا مَنْ اختلت عندهُ الفطرة، وحصل عندهُ تشكيكٌ في وجود الله يخاطب بذلك.

❋ ويخاطب بذلك كذلك مَنْ يريد أنْ يتصدَى لذلك من الدعاء والمصلحين وطلبة العلم.

فلاحظ الفرق وهذه نقطة مهمة، أنَّ الفرق بين طريقتنا -إن صحّ التعبير- وطريقة أهل الكلام:

أنَّ طريقة أهل الكلام يعممون هذه الطريقة الاستدلال على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تعميمًا لا يستثنون بهِ أحدًا، لذلك عندهم أنهُ لا يجوز التقليد في الإيمان، وأنهُ لا يصحُّ إيمان المقلد، عند أهل الكلام -المعتزلة والأشاعرة وغيرهم- لا يجوز لك أنْ تكون مقلدًا في الإيمان.

لذلك حُذاق المتكلمين أو الذين نحوا منحى أهل الحديث ممَنْ ينتسبوا إلى الأشاعرة؛ كالإمام النووي -رحمه الله- ينفي هذا يردهم في شرحهِ على [مسلم] وغيره قال: هذا غير مقبول، واستدل بفعل النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ النبيّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كان يأتيه الرجل فيثمر، ويكتفي منهُ بذلك، ولا يطالبهُ بالنظر في أدلة وجود الله و و و إلى آخرهِ.

لذلك وهذه نقطة يجب أنْ تقرر لأن حصل هناك لبس عند كثيرٍ من النَّاس، هذا اللبس ناشئٌ عن الجهلِ بهذه الفروق، فالطريقة الكلامية هي وجوب النظرِ على كل مسلم، بغض النظر عن كونهِ قد تأثر أو لم يتأثر بالشبهات، ونحن ننكر هذا الأمر، بل نبدعهُ ونقول: أنهُ لا يجوز بل فيهِ تشويش على النَّاس.

إذاً لماذا تتكلَّمون على هذه المسائل؟

نقول: نحن نتكلَّم عنها لَمَنْ تأثر بالشبهات وانتكست فطرتهُ، فيتعلم طلبة العلم كيف نعيد الفطرة السليمة إلى أصحابها، ونقرر ونكرر أنَّ مَنْ سلِم من التأثر من الشبهات فليفر من هذا الكلام فرارهُ من الأسد، وليؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ ولا يُطالب بالنظر في الأدلة الكلامية.

طالب: هل يجوز من باب زيادة الإيمان؟

الشيخ: والله حتى لو من باب زيادة الإيمان وأنا حرصت في المقال اَلَّذِي نشرتهُ من قبل فترة عن شيخ الإسلام في مجلة، سأقرأ لكم شيئًا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- في كلامٍ مهم صراحة يبين فيهِ الفرق بين الطريقة الكلامية والطريقة السلفية -إن صح التعبير-، قال: (**ولهذا كان طائفةٌ من أئمة المُصنِّفين للسنن على الأبواب، إذا جمعوا فيها أصناف العلم: ابتدأوها بأصل العلم والإيمان. كما ابتدأ البخاري صحيحه باب بدء الوحي ونزوله، فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول أولًا، ثم أتبعه بكتاب الإيمان اَلَّذِي هو الإقرار بما جاء به، ثم بكتاب العلم اَلَّذِي هو معرفة ما جاء به، فرتبه الترتيب الحقيقي. وكذلك الإمام أبو محمد الدارمي صاحب [المسند]**) إلى آخرهِ.

قال: (**ولما كان أصل العلم والهدى هو الإيمان بالرسالة المتضمنة للكتاب والحكمة، كان ذكره طريق الهداية بالرسالة ـ اَلَّتِي هي القرآن، وما جاءت به الرسل ـ كثيرًا جدًا، كقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ﴾ [البقرة:٢]،وقوله:﴿هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٨]**). إلى آخر الآيات.

۞ **لا زلنا في الفرق الأوَل**: وهو الاكتفاء بالكتاب والسُّنَّة، وعدم التطرق للمقدمات، والنظر في وجود الله لَمَنْ لم تفسد فطرتهُ.

لذلك هنا قال: (**ولما كان الإقرار بالصانع فطريا – كما قال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ ..**» **الحديث – فإن الفطرة تتضمن الإقرار باللهّ، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا اللهّ، فإن الإله هو الَّذِي يعرف ويعبد، وقد بسطت هذا المعنى في غير هذا الموضع.، وكان المقصود بالدعوة: وصول العباد إلى ما خلقوا له من عبادة ربهم**) إلى آخرِهِ.

ويذكر بعض الأدلة من القرآن، ثم قال: (**والمتكلم يستحسن مثل هذا التأليف، ويستعظمهُ حيث قررت الربوبية، ثم الرسالة، ويظن أنَّ هذا موافقٌ لطريقتهِ الكلامية في نظره في القضايا العقليات، أولًا من تقرير الربوبية، ثم تقرير النبوة، ثم تلقي السمعيات من النبوة كما هي الطريقة المشهورة الكلامية**).

وهذا –يا إخوان– هو الفرق الثاني.

❁ **إذًا الفرق الأوَل بين الطريقة السلفية والطريقة الكلامية:** أنَّ الطريقة الكلامية الأصلُ فيها النظرُ العقلي، بغض النظر هل أنت متأثر أو غير متأثر، مؤمن أو غير مؤمن، سليم الفطرة أو غير سليم الفطرة، فهي تعتبر فرض عين، ولا يتم إيمان المؤمن إلَّا بمثل هذا النظر، فيجعلونهُ أوَل واجب.

العقل بالضبط أنك لا يجوز لك أنْ تستدل على السمعيات قبل أنْ تبني العقليات، وهذه طريقة مبتدعة، هذا من الردود عليهم، وهذا ذكره ابن تيمية كذلك لما قالوا: لأنَّ القرآن والسُّنَّة مستدلٌ عليهما، فلا يجوز أنْ نستدل بهما، لا بُدَّ أنْ نثبت صحة القرآن والسُّنَّة، ثم نستدل بالقرآن والسُّنَّة، وهذه الطريقة الَّتِي رفع شعارها وأعلى منارها هو الفخر الرازي.

لذلك تكلَّم عنهُ ابن تيمية –رحمه الله– كلامًا شديدًا في [درء تعارض العقل والنقل]، وفي [بيان تلبيس الجهمية]، وفي [مجموع الفتاوى] في عدة مواضع وفي غيرها.

✹ **الفرق الثاني بين الطريقة الكلامية والطريقة السلفية -إن صحَّ التعبير-:** أنَّ أهل الكلام يقررون أوَلًا العقليات بشكلٍ مجرد، ولا يتطرقون إلى السمعيات من الآيات والأحاديث البتة قبل إثبات العقليات أوَلًا، ثم تقرير الربوبية من خلال العقل، ثم تقرير النبوة، فإذا ثبتت الربوبية والنبوة أثبتوا من خلالها السمعيات كما يسمونها القرآن والسُّنَّة، ثم يستدلون بها.

◆ **فيأتون أوَلًا** إثبات الصانع من خلال حدوث العالم.

◆ **ثم إثبات صفاته نفيًا**، وإثباته بالقياس العقلي على ما بينهم إلى آخرِهِ.

يقول: (**وإنَّما عمدة الكلام عندهم، ومعظمه: هو تلك القضايا اَلَّتِي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم**).

أي الأساس اَلَّذِي بنوا عليهِ عقيدتهم هي العقليات فقط الأصل، ثم يأتي القرآن والسُّنَّة بعد ذلك، فصار من نتيجة ذلك أنهم يزعمون أنهُ إذا تعارض شيءٌ من القرآن والسُّنَّة مع شيءٍ من العقل نفوهُ، أو أولوه أو فوضوه؛ لأنهم قالوا كيف يتعارض شيء بني عليه؟ فجعلوا -مع الأسف الشديد- العقل هو الأصل والمرجع، وهذا خلل كبير لا شك.

لذلك قال: (**وإنَّما عمدة الكلام عندهم، ومعظمه: هو تلك القضايا اَلَّتِي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم، وقد بنوها علي مقاييس تستلزم رد كثيرٍ مما جاءت به السُّنَّة**)، وهذا خطر، (**فلحقهم الذم من جهة ضعف المقاييس اَلَّتِي بنوا عليها، ومن جهة ردهم لما جاءت به السُّنَّة:**

وهم قسمان:

- **قسمٌ بنوا على هذه العقليات القياسية الأصول العلمية، دون العملية**) قال: (**وهم الأشاعرة**).

☆ **الأشاعرة في باب الفقه وباب العمليات قالوا**: ليس لنا عمل، ويجب العمل بحديث الآحاد، وإنْ لم يكن يثبت فهو يجب العمل بهِ إلى آخرهِ، لكن في الأصول العلمية أي العقائد وقعوا في إشكال.

(**وقسمٌ بنوا عليها الأصول العلمية والعملية، كالمعتزلة**).

المعتزلة أشد، كلاهما من المدرسة الكلامية، ولكن المعتزلة أكثر تمسكًا بهذه الطريقة.

(**حتى إن هؤلاء يأخذون القدر المشترك في الأفعال بين اللهّ وبين عباده**) نسأل الله السلامة والعافية، (**فما حسن من اللهّ حسن من العبد، وما قبح من العبد قبح من اللهّ، ولهذا سماهم النَّاس مشبهة الأفعال**) إلى آخرهِ.

ثم قال: (**أمَّا طريقة القرآن: إثبات الصانع في القرآن بنفس آياتهِ**).

◆ **لا زلنا في الفرق الثاني**: قلنا إنَّ أهل الكلام عندهم تراتبية العقل ثم الوحي، أمَّا أهل السُّنَّة والسلف الصالح فلا يفصلون العقل عن النقل.

لذلك قال: (**إثبات الصانع في القرآن بنفس آياتهِ**)، وليس تراتبية وإنَّما اقتران (**اَلَّتِي يستلزم العلم بها العلم به، كاستلزام العلم بالشعاع، العلم بالشمس**)، الشمس والشعاع لا ينفكان، (**من غير احتياجٍ إلى قياسٍ كلي يُقال فيه: وكل محدَثٍ فلابد له من محدِث، أو كل ممكن لابد له من مرجح، أو كل حركة لابد لها من علةٍ غائية، أو فاعلية**) إلى آخر كلامه.

(**إلى أن يُقال: سبب الافتقار إلى الصانع هل هو الحدوث فقط - كما تقوله المعتزلة - أو الإمكان - كما يقوله الجمهور**) إلى آخرهِ.

طالب: ....

الشيخ: الوحي فيهِ مضامين تتوافق مع النظرة العقلية، هذا اَلَّذِي نحن نبني عليهِ.

طالب: محاراة العقول مثلًا؟

الشيخ: ليس محاراة العقول، الوحي يخاطب فينا العقول، لا أحتاج إلى أنْ أتكلم بالعقل المجرد، ثم أقول: أءتي بالوحي لنعمل فيه، لا، أءتي بالوحي مع العقل معًا، وهذا اَلَّذِي هو محور كلام شيخ الإسلام في [درء التعارض].

طالب: يا شيخ هم لو احترموا العقل العقل دلهم على النقل، فبعد ذلك يجب أن تسلم العقل للنقل اَلَّذِي دلك عليه أساسًا، خطأهم أنهم اعتمدوا على الفلاسفة.

الشيخ: وجعلوا العقل حاكمًا على النقل؛ لأنَّ هو الأصل، وتفرَع عنهُ الوحي، فقالوا: لا بُدَّ ألَّا يكون تعارض، فصارت القسمة الرباعية اَلَّتِي ذكرها الرازي، هو بالضبط [درء تعارض العقل والنقل].

طالب: في باب العقائد ما يُذكر عند التعارض عند موضوع الأسبقية، هل يشترط وجود في القرآن حتى يكون دليلًا صحيحًا؟

الشيخ: لا، لكن نزعم أنهُ لا يوجد دليل عقلي لا يوجد لهُ أثر في القرآن، فعندنا دليل الحدوث موجود في القرآن، دليل العناية والاختراع موجود في القرآن، إذا قال قائل: هل يشترط؟ نقول: ما يشترط، لكن أعطني دليل عقلي لا أصل له في القرآن.

إذًا هذا الفرق الثاني.

الفرق الأول عرفناه بين الطريقة السلفية والطريقة الكلامية، والفرق الثاني عرفناه.

۞ ما هو الفرق الثالث؟

❁ **الفرق الثالث:** هو توقف الجانب العملي والعبادي على الجانب العقدي عند الطريقة الكلامية، بحيث لا يُسمَّى المؤمن مؤمنًا دون الوصول إلى مرحلة التصديق، بينما الطريقة السلفية لا تشترط ذلك:

- **فأوَل واجبٍ عليك:** أنْ توحد الله وأنْ تعبدهُ، فإذا أتاك غير المسلم، هنا لاحظ: هل أبدأ معهُ بإثبات وجود الله أم أقول لهُ انطق الشهادتين وصلي، وسيأتيك الإيمان تدريجيًا بعد ذلك؟ هو هذا، هذا الفرق الثالث، لا أشترط أنْ أصل بك إلى كمال الإيمانِ حتى تدخل في الإسلام، بل أدخل في الإسلام ولو بشيءٍ من الإيمان، أهم شيء تكون عارف مَنْ هو الله، وما معنى "لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله".

لذلك يروَى في حديث لا يحضرني صحته لما قال النبيّ ﷺ لرجل: **«أسْلِم»، قال: إني كارهًا، قال: «أسلِمْ، ولو كنتَ كارهًا».**

لذلك نسمع كثيرًا ونقرأ في تراجم الصحابة أسلم وحَسُن إسلامهُ، ليس شرط يحسن إسلامك قبلما تسلم، أنت أسلم الحين ثم يحسن إسلامك.

ماذا يقول شيخ الإسلام؟

يقول: (**الوجه الثاني -في مفارقة الطريقة القرآنية الكلامية-: أن الله أمر بعبادته الَّتِي هي كمال النفوس، وصلاحها، وغايتها، ونهايتها، لم يقتصر على مجرد الإقرار به، كما هو غاية الطريقة الكلامية، فلا وافقوا لا في الوسائل، ولا في المقاصد، فإن الوسيلة القرآنية قد أشرنا إلى أنها فطريةٌ قريبة، موصلةٌ إلى عين المقصود، وتلك قياسيةٌ بعيدة، ولا توصل إلا إلى نوع المقصود، لا إلى عينه.**

وأما المقاصد، فالقرآن أخبر بالعلم به والعمل له، فجمع بين قوتي الإنسان العلمية، والعملية: الحسية، والحركية، الإرادية والإدراكية، والاعتمادية: القولية، والعملية، حيث قال: ﴿اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ فالعبادة لابد فيها من معرفته، والإنابة إليه، والتذلل له، وهذا هو المقصود. والطريقة الكلامية، إنَّما تفيد مجرد الإقرار، والاعتراف بوجوده).

❁ **الفرق الرابع**: لذلك صار من الفروق بين مدرسة الكلام ومدرسة السلف: أنَّ الإيمان عند أهل الكلام هو مجرد التصديق، بينما الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة العلم والعمل والعقيدة، "**القول باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالجوارح والأركان**"، (**إيماننا قولٌ وفعلٌ وعمل يزيد بالتقوى وينقض بالذلل**)، كما قال السفاريني -رحمه الله-.

قال: (**والطريقة الكلامية، إنَّما تفيد مجرد الإقرار، والاعتراف بوجوده، وهذا إذا حصل من غير عبادةٍ وإنابة كان وبالًا على صاحبه**)، الَّذِي يتقعر في الأدلة الكلامية دون أنْ يعبد ربهُ هذا ضلالٌ مبين، (**وشقاءٌ له، كما جاء في الحديث: «أشدُّ النَّاس عذابًا يومَ القيامةِ عالمٌ لم ينفعْهُ اللهُ بعلمِهِ»، كإبليس اللعين**)، هل في أعلن من إبليس؟ لا، (**فإنه معترفٌ بربه، مُقِرٌّ بوجوده، لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء، وكل مَنْ شقي فباتباعهِ له**). إلى آخر كلامهِ.

قال: (**والطريقة النبوية، القرآنية السُّنِّيَّة الجماعية فيها العلم والعمل كاملين**).

طالب: هنا في إشكال بالنسبة للفعل أن قد يحصل اتباع الطريقة السلفية، هذا الأمر كذلك التركيز على الأمور دون الاهتمام بموضوع العبادة أو بموضوع العمل أو بموضوع توحيد الربوبية أو غيره، فيحصل نفس الإشكال اَلَّذِي ذكرتموه؟

الشيخ: بالعكس الطريقة السلفية تندد بذلك، تندد على مجرد الاقتصار على إثبات وجود الله، بغض النظر عمَنْ يتبنى هذه النظرة فهي النظرة خاطئة، الطريقة السلفية اَلَّتِي كان عليها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واَلَّتِي دعا لها القرآن والسُّنَّة هي الجمعُ بين العلم والعمل.

فلا نقول: قف حتى تؤمن وحتى توقن وحتى تصدق، ثم تعبد ربك، ولا نقول لك: اعبد دون علم، بل العلم والعمل جميعًا، تزداد من العلم وتزداد من العمل، ولا تكون مؤمنًا إلَّا إذا قارنت بين العلم والعمل، لا يشترط أنْ تكون عالمًا حتى تكون عابدًا، لكن لا يجوز لك أنْ تعبد الله بدون علم، هذه هي الطريقة، سواءٌ تبناها الطريقة الفلانية أو الطريقة الفلانية هم على صواب، فإذا صار هناك تقصير.

وهذا طبعًا نقطة مهمة وهي: كثيرٌ ممَنْ ذلَّ أو انحرف بهِ الطريق لا يمكن أنْ ينحرف إلَّا بشيءٍ من الحقّ، لا يمكن، ما في باطل محض، لكن الانحراف في أصلهِ هو الغلو في جانبٍ من الجوانب، فالإرجاء -على سبيل المثال- هو غلوٌ في جانب الرحمة، أحاديث الرحمة وكذا، فعندهم آيات متمسكين فيها، والخوارج هم انحراف وغلو في جانب الوعيد.

المعتزلة غلوا في جانب التنزيه والأشاعرة كذلك، النواصب أرادوا أنْ يحموا الصحابة ويبينوا أنهُ لا فضل لأهل البيت على الصحابة فجفوا، والروافض قدَسوا آل البيت فغلوا فيهم، فلا يوجد أحد حتى في القدر القدرية والجبرية، الجبرية أرادوا أنْ ينزهوا الله عَزَّوَجَلَّ عن أنْ يكون في خلقهِ ما لا يشاء فغلوا في جانب الجبر وجعلوا النَّاس مجبرين.

والقدرية أرادوا أنْ ينزهوا الله عن الظلم بأنْ يحاسب العباد على ما لم يختاروه، فنفوا عن الله عَزَّوَجَلَّ الخلق والقدر، وقالوا: الأمر أنف، وقس على ذلك، على مستوى أقل، هناك مَنْ تمسك بجانب يدندن عليهِ هو حقّ، لكن الدندنة عليهِ بشكلٍ مستمر واختزال الدِّين فيهِ يصيره إلى باطل، كما أنَّ كل فرقة من فرق أهل البدع متمسكة بأصل لهم فيهِ أدلة، لكن الغلو في هذا الأصل هو اَلَّذِي جعلهم ينحرفون عن المسار الصحيح.

لذلك طريقة أهل السُّنَّة والجماعة هي أنْ يكون القرآن والسُّنَّة مستندهم في العقائد والعبادات والأعمال والأحكام الفقهية والأخلاق، بعضهم تمسك في عقيدة السلف بالعقائد وقصروا في الأعمال، وقصروا في الأخلاق، فيدعي أنهُ منه أتباع السلف وليس عندهُ من أخلاقهم شيء.

وهناك العكس مَنْ عندهُ من أخلاق السلف، لكنهُ انحرف في العقيدة ولا يعتبر السلفي سلفيًا إلا إذا كان متبعًا للسلف في عقيدتهِ، وفي مصادرهِ التشريعية وفي أخلاقهِ؛ لأنَّ الانتساب إلى السلف نسبة شريفة، فلا بُدَّ أنْ تكون على ضوء هذه الأمور الثلاثة.

طالبة: ....

الشيخ: هذا الكلام صحيح لذلك أنا قلت إنَّ الطريقة الكلامية هي تعميم هذه الطريقة للمسلم والكافر، الخطأ هنا أنهم يقدمون النظر العقلي حتى للمسلم، طالب علم مسلم أراد أنْ يتعلم لا يريد أنْ يناظر، يريد أنْ يتعلم العقيدة، أول ما يطرق سمعهُ النظر، هذا الخطأ.

أمَّا رجل ملحد هو ملحد أصلًا لا يؤمن، لذلك هذا اَلَّذِي نقول فيهِ ما تفضلتِ بهِ، وهذا اَلَّذِي قلتهُ قبل قليل أنَّ الطريقة السلفية هي عدم استخدام النظر العقلي المحض إلا لَمَنْ احتاجهُ، وهم الملاحدة الكفار أو الذين عندهم انحراف في جانب العقيدة، أمَّا الطريقة الكلامية لا يعمومونها.

◆ **اَلَّذِي أريد أنْ أقوله في النقطة الأوَلى هذه ملخصهُ**: أنَّ استعمال النظر هو لحالاتٍ مخصوصة وليس هو الأصل، فالمسلمون الموحدون حتى لو كانوا قد ولدوا على هذا الإسلام لا نحرك عقيدتهم بشيءٍ من هذا، ولكن نحصنها ونقول: طالب العلم مثلًا يقول: أنا أُسأَل كثير، نقول: لا، أنت يجب أنْ تتعلم حتى إذا سُئلت تعرف أنْ تجيب، تريد أنْ تناظر الملاحدة تعلم النظر حتى تجيب، ملحد يريد أنْ نناقشه بالنظر، لكن لا أذهب إلى عامة النَّاس في المدارس مثلًا وأدرسهم النظر، هذا هو اَلَّذِي أنا أقصدهُ في كلامي هنا.

✹ **الفرق الخامس**: أنَّ حتى النظر عند المتكلمين فيهِ تعقيدٌ وتطويل، لذلك يقول ابن تيمية – رحمه الله– كذلك: (**وهذه الطرق فيها فساد كثير من جهة الوسائل والمقاصد : أما المقاصد فإن حاصلها بعد التعب – الكثير والسلامة –**)، إذا سلمت (**خيرٌ قليل فهي لحم جملٍ غث على رأس جبلٍ وعر لا سهلٌ فيُرتقى ولا سمينٌ فيُنتقل، ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة والمحمودة ما لا ينضبط هنا.**

أمَّا الوسائل) في طريقتهم الآن (**فإنَّ هذه الطرق كثيرة المقدمات**)، الطريقة الكلامية هذه كثيرة المقدمات، (**ينقطع السالكون فيها كثيرًا قبل الوصول**)، لو تفتح كتب علم الكلام قديمًا تجد هذا اَلَّذِي ذكرناه دليل الحدوث في سطرين تجده في مجلد ربما خمسمائة صفحة، أربعمائة صفحة، كيف تثبت الحدوث، وهل يُثبَت الحدوث بمجرد الإمكان أم بالتغير أم بكذا.

فيقول: (**ينقطع السالكون فيها كثيرًا قبل الوصول ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء.**

ولهذا لا يتفق منهم اثنان رئيسان على جميع مقدمات دليل إلا نادرًا).

هم نفسهم داخل المدرسة الكلامية أقسام.

(فكل رئيسٍ من رؤساء الفلاسفة والمتكلمين: له طريقةٌ في الاستدلال تخالف طريقة الرئيس الآخر بحيث يقدح كلٌّ من أتباع أحدهما في طريقة الآخر، ويعتقد كلٌّ منهما أن الله لا يُعرف إلا بطريقته؛ وإن كان جمهور أهل الملة بل عامة السلف يخالفونه فيها.

مثال ذلك: أن غالب المتكلمين يعتقدون أن الله لا يعرف إلا بإثبات حدوث العالم، ثم الاستدلال بذلك على محدثه؛ ثم لهم في إثبات حدوثه طرق: فأكثرهم يستدلون بحدوث الأعراض).

يتكلَّمون هنا عن الأعراض ويتكلمون عن كذا.

(وهي صفات الأجسام، ثم القدرية من المعتزلة وغيرهم يعتقدون أنَّ إثبات الصانع والنبوة: لا يمكن إلا بعد اعتقاد أن العبد هو المحدث لأفعاله وإلا انتقض الدليل، ونحو ذلك من الأصول الَّتِي يخالفهم فيها جمهور المسلمين).

إلى أنْ قال: **(فأما الأنبياء فأول دعوتهم: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)**. مباشرةً ولا داعي ولا حاجة لتطويلٍ كثير.

☆ **لذلك** هنا لما ذكَر فهذه الوجوه وما يشبهها تدلُّ على وجوب واجبٍ قديم ليس بمصنوع، لكن الشأن في تعيينه إلى آخرِهِ.

قال: **(ثم إنَّ افتقار الممكن إلى الواجب)**، هذه المقدمة الثانية، نحن قلنا الكون محدث، ولكل مُحْدَث مُحدِث، هذا افتقار الممكن إلى الواجب، والمحدِث إلى القديم، والمصنوع إلى الصانع مقدمة ضرورية، **(وإنْ كانت طائفةٌ من النظار يستدلون على هذه المقدمة)**.

الآن مبدأ السببية أنَّ هذا الشيء حادث فلا بُدَّ لهُ من محدِث ليس له داعي تتكلم عليه، وتأتي بأدلة عليهِ، لذلك قال: **(النظار)**، والنظار هم صفة تطلق على مَنْ يتبعون طريقة النظر العقلي، **(يستدلون على هذه المقدمة، وعلى أن الممكن لا يترجح أحد الطرفين على الآخر إلا بمرجح، والجمهور على الاكتفاء بالضرورة فيها)** إلى آخره كلامه.

◆ **الأمر الأوَل:** اَلَّذِي أردت أنْ أنبه عليهِ بعد أن تطرقنا في المجالس السابقة إلى هذه الطريقة، وهي طريقة برهان الاستدلال على وجود الله ببرهان الحدوث، وبرهان العناية والصنع المتقن، وهما أبرز دليلين على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحببت أنْ أنبه بهذا الكلام المختصر على أنَّ هذه الطريقة اَلَّتِي ننتهجها هنا ليست هي طريقة المتكلمين، بل نحن ننكر ونحارب طريقة المتكلمين؛ لأنها تخالف الطريقة السلفية وطريقة العلماء قديمًا وأهل الحديث منذ قرون، وقد ذكرت لكم هذه الفروق الخمسة اَلَّتِي يختلف فيها النظر الكلامي عن النظر السلفي.

◆ **الأمر الثاني:** أنَّ الطريقة الكلامية توقع صاحبها في العصر الحديث أمام الملاحدة في مآزق، مثلًا: هم عندهم مثلًا أنَّ الأسباب لا تؤثر بذاتها، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يخلق التأثير عند وجودها، فالنار لا تحرق، والسكين لا تقطع، والجاذبية لا تجذب، واَلَّذِي أحرق على الحقيقة هو الله، واَلَّذِي قطع على الحقيقة هو الله إلى آخرِهِ.

كيف يمكنك أنْ تستدل ببرهان السببية وأنت تنفي السببية؟

هذا مأزق كبير، وهذا ذكره أيضًا شيخ الإسلام، أنتم تناقشون الملاحدة وأنتم عندكم خلل في مبدأ السببية أصلًا.

لذلك ما يُشاع ويُروَج أنَّ خير مَنْ يناظر الملاحدة هم أهل الكلام والنظر، هذا فيهِ نظر؛ لأنهم عندهم مشاكل نحمد الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ الملاحدة في هذا العصر جهلة، ويفتقرون إلى كثيرٍ من النظر والمداخل على مثل هؤلاء، لذلك الحمد لله ما في مشاكل كبيرة؛ لأنَّ عمومًا الوسط العلمي أصلًا ضعيف حتى عند الملاحدة، والملاحدة أغلبه شعبوي نادر جدًّا عندما تجد مَنْ يستطيع أنْ يمسك بهذه المماسك.

فأنا أحببت أنْ أنبه ونحن نتكلّم بذلك أننا إنْ شاء الله تعالى على طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّ الطريقة هذه ليست هي طريقة أهل الكلام كما يدعون ويزعمون.

طالب: ....

الشيخ: طريقة القرآن هو أنْ تخاطب في الإنسان فطرتهُ، وألا تلجأ إلى الخطاب العقلي والنظر العقلي إلَّا عند الحاجة إذا فسدت الفطرة، أو أردت أنْ تثبت وتناقش ملحدًا فهنا ما في فطرة أصلًا، فتحي فيهِ الفطرة من خلال النقاش والنظر العقلي، هذا اَلَّذِي أردت أنْ أوضحهُ في هذا الكلام المختصر.

طالب: ....

الشيخ: طبعًا دائمًا التخلية قبل التحلية، إذا أردت أنْ تناقش شخصًا فلا بُدَّ أنْ تهدم ما عنده أولًا، ثم تثبت ما عندك هذا هو الأصل، فتهدم ما عنده وتبين تناقده، ثم تعطيه التحلية وإثبات ما عندك، هذا هو الأصل.

طالب: الاستشكال بخصوص الفرق بين الطريقة الكلامية والطريقة السلفية، أن الطريقة الكلامية طويلة، وقد ينقطع منها الطلاب، وقد لا يصل للمطلوب في النهاية، وقليلة المحصول، فبعض الكتب الحديثة خاصةً الفترة القليلة الماضية لما يكون في الكلام عن أدلة وجود الله تذكر الكتب الكبيرة، فتعرض بطريقة معقدة فيظن الطالب هذا هو الطريق الموصل لوجود الله وأنهُ لا بد أن يفهم الفيزياء الموجودة في نصوص هذه الكتب.

الشيخ: **جوابًا على ذلك:**

❁ **أولًا**: الفرق بين الطريقة الكلامية والطريقة السلفية أنَّ المخاطبة بالنظر العقلي ليست لكل أحد، فمن الخطأ أن يُخاطب عامة النَّاس بهذه الطريقة.

❁ **ثانيًا**: إذا قررنا أنَّ هذا الشخص ممَنْ يستحق أنْ يخاطب بالطريقة العقلية، فإنهم يتفاوتون فإنَّ منهم مَنْ يحتاج إلى قليل من الكلام، ومنهم لا يحتاج إلى مزيد من الكلام، فالَّذِي أراه أنَّ لا حرج أنْ يكون هناك فئة من المسلمين عنده القدرة على إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الطرق الَّتِي تكلمنا فيها، وهي ليست بذلك التعقيد القديم؛ لأنَّ ابن تيمية لما قال: معقدة؛ لأنهم يوردون إشكالات عليها.

لكن الَّذِي أراه والله أعلم أنَّ القدر الَّذِي تناولناه هو مناسب، ما طولنا لو تلاحظون ولا عقدنا إنْ شاء الله، بل وأنا أرى أنَّ هذا القدر مناسب لمَنْ يستحق أنْ يخاطب بالنظر العقلي، وأنَّ الزيادة عليه قد توقع في الإشكال، يكفي إنْ شاء الله هذا؛ لأنَّ النقص عنه قد لا يقنع الطرف الآخر، والزيادة فيهِ قد يوقع في الإشكال.

لكن لا بأس أنْ يكون الإنسان إذا تضلع من العلم الشرعي وهو متصدي أنْ يطلِع أكثر،

لا سيما وأنهُ في جانب المناظرة يورد عليهِ كثير من الإشكالات، يورد عليهِ كثير من المشاكل، فلا بُدَّ أنْ يكون عنده ردٌ على ذلك.

❁ **إذًا خلاصة الَّذِي أقوله**: أنني أنتقد التعقيد في هذه الطريقة، لكن ينبغي أنْ يكون هناك مَنْ يعلم حتى لِمَنْ يريد أنْ يتصدى للمناظرة فأشبهه بالأطباء، هناك طبيب عام، هناك طبيب استشاري متخصص لا يُحال إلى آخر الأطباء إلَّا عند الحالات الصعبة، فهذا الطبيب الأخير ينبغي أنْ يكون مطلعًا.

فأدعو أنا إلى هذه الطريقة الطويلة ألَّا يطلع عليها إلا خواص طلبة العلم الذين يتصدون، ولا تُنشَر هذه الطريقة وتُدعَم.

طالب: ....

الشيخ: خطبة جمعة ينفون أنَّه انفجار كبير، الإلحاد وكذا، فأنا نبهتم كان في خطبة جمعة عندنا شهيرة عن الإلحاد في الكويت، وأنَّ الإلحاد انتشر، وأنهم يثبتون نظرية الانفجار الكبير، قلت: يا جماعة، ما عندنا مشكلة في نظرية الانفجار الكبير بحد ذاتها، هذا بالعكس.

فعلى كل حال دائمًا الحق وسط بين أطراف، يبقى قضية الكثرة والقلة نسبية بعد، قد يقول قائل: أنا أراه معقد، ممكن عنده سطرين معقد، وقد يقول شخص آخر: هذا كلام جميل ومتزن وكذا، فهي في الحقيقة مراتب في العلوم يصلح للمتخصص ما لا يصلح لغيرِه.

جزاكم الله خير وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وجزاكم الله خيرًا.

❁❁❁